# أولا: الدراسات الإسلامية

# موقف الدكتور محمد عمارة من التفسير بالرأي
## بحث مقدم لنشره للحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية

**الباحث: تامر جمال مصباح أبو شعيشع**

**الملخص**

منهج الدكتور محمد عمارة في تفسير القرآن الكريم

هذه الرسالة تتحدث عن تفسير الدكتور محمد عمارة لآيات القرآن الكريم ومنهجه في هذا التفسير، ومدى التشابه أو الاختلاف بينه وبين المفسرين الآخرين للقرآن الكريم، ويقصد بمنهجه طريقته التي سار عليها أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، وقد ظهر هذا المنهج من خلال تقديمه لتفسير الإمام محمد عبده في كتابه الأعمال الكاملة لمحمد عبده، ومن خلال مقالاته في مجلة الأزهر عن تفسير غريب القرآن الكريم، ومن خلال تفسيره للآيات التي تحتوي على قضايا فكرية أو قضايا حقوقية ، وغير ذلك .

**Abstract**

Dr. Muhammad Emara's approach to interpreting the Holy Qur'an

This letter talks about Dr. Muhammad Emara's interpretation of the mechanisms of the Qur'an

Al-Karim and his methodology in this interpretation, and the extent of similarity or difference between it and

The other interpreters of the Holy Qur'an, and by his method he means his way on it during his

interpretation of the mechanisms of the Holy Qur'an, and this approach has emerged from

During his presentation of the interpretation of Imam Muhammad Abduh in his book The Complete Works of Muhammad

Abdo, and through his articles in Al-Azhar magazine on the interpretation of the strange Quran

Al-Karim, and through his interpretation of the mechanisms that contain intellectual issues or

Legal issues, and so on.

**المقدمة**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) .

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

أما بعد:

فإن الله جل ذكره أنزل القرآن مؤلفا منظما، ونزله بحسب المصالح منجما، وجعله بالتحميد مفتتحا، وبالاستعاذة مختتما.

أوحاه على قسمين متشابها ومحكما، وفصله سورا، وسوره آيات، وميز بينهن بفصول وغايات، وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع، وسمات منشئ مخترع.

فسبحان من المستأثر بالأولية والقدم. ووسم كل شيء سواه بالحدوث والعدم، أنشأه كتابا ساطعا تبيانا لكل شيء، قرآنا عربيا غير ذي عوج، مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية، مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزا باقيا على وجه كل زمان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وعن الإتيان بسورة مثله من الخطباء الفصحاء، ثم سهل على الخلق تلاوته.

فإن خير العلوم وأشرفها العلم بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وخير اللغات اللغة العربية، التي جعلها الله لغة كتابه المبين، فهي خادمة لمقاصده الشرعية الصالحة لكل زمان ومكان، مما كتب لها الخلود على مر الزمان .

وقد نال علم التفسير شرفه لتعلقه بكتاب الله ، إذ به يعرف المقصود من كلام رب العالمين .

ولقد حفظ الله لنا أسماء أئمة وعلماء كثر ، صدقت عزائمهم، وصفت نياتهم، فاعتقدوا أنه لن يصلح أمر هذة الأمة في كل مراحلها إلا بما صلح عليه أولها ، وهو رأي كل مصلح خبير ، وعاقل حكيم.

من أولئك الأعلام –الدكتور محمد عمارة – رحمه الله تعالى – الذي ما فتئ يجاهد بقلمه ولسانه حتى توفاه الله تعالى .

وفي هذا البحث أبرز موقف الدكتور محمد عمارة من التفسير بالرأي من خلال كتبه ومقالاته وأحاديثه .

وقد اعتمدت في هذا البحث على المناهج التالية:

١. أعتمد في هذا البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي .

٢. جعلت النصوص التي نقلتها من كتب الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – بين علامتي تنصيص وكذلك أية نصوص نقلتها من بعض المصادر بنصها .

٣. عزوت الآيات القرآنية الواردة بالبحث إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية .

٤. خرجت الأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة والتابعين .

٥. قمت بتعريف المصطلحات العلمية، والفقهية، والعقدية، وبيان المفردات الغريبة بالرجوع إلى مصادرها الأساسية .

٦. قمت بتأصيل ودراسة ما نقله الدكتور محمد عمارة– رحمه الله – واستفاده ممن سبقه من المفسرين أو غيرهم ونسبته إليهم في هامش الدراسة .

٧. حاولت قدر استطاعتي — توجيه ما أورده الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – من آراء في بعض القضايا المختلف فيها مع بيان الراجح .

٩. زيلت البحث ببعض المراجع العلمية التي رجعت إليها .

ويتكون البحث من:

مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

* مقدمة البحث، وفيها:

وخطة البحث، والمنهج الذي أتبعه .

* التمهيد، وفيه:

التعريف بالدكتور محمد عمارة – رحمه الله – وذكر مولده ونشأته وتعلمه لعلوم الشرع، ووفاته، وغير ذلك .

المبحث الأول: ذكر الاحتمالات المتعددة في تأويل الآيات .

المبحث الثاني: اهتمامه بالأمور الفلسفية والعقدية .

المبحث الثالث: اهتمامه بالآيات الداعية إلى إعمال العقل .

المبحث الرابع: حرصه على التفسير العلمي للقرآن الكريم .

أسأل الله أن يوفقني – دائما — لما يحبه ويرضاه .

**التمهيد**

**تعريف موجز بالدكتور محمد عمارة**

الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – هو المفكر الإسلامي والفيلسوف والمحقق المصري الأصل. شغل الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – مناصب في هيئات إسلامية عديدة، فهو عضو مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وكذلك كان رئيس تحرير مجلة الأزهر. وفي هذا المقال نتعرض بشكل موجز لموقف الدكتور محمد عمارة رحمه الله من التفسير بالرأي .

وُلد محمد عمارة مصطفى عمارة في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٣١م الموافق السابع والعشرين من شهر رجب عام ١٣٥٠هـ في قرية صروة، وهي إحدى القرى التابعة لمركز قلين بمحافظة كفر الشيخ لأبوين مصريين مسلمين(١).

مر الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – في حياته بالكثير من التغيرات والتحولات الفكرية الكبرى، فعلى الرغم من كونه نشأ نشأةً أزهرية سليمة، إلا أنه قد بدأ في أول حياته بداية يسارية ماركسية. حيث انضم لحزب مصر الفتاة(٢) في بداية حياته دفاعًا عن العروبة ولمقاومة الاستعمار، ثم انضوى تحت مظلة الحزب الاشتراكي بعدها.

ثم عاد إلى فكره الأزهري واتجاهه الوسطي وظل يدافع عنه بقية حياته رحمه الله .

كان يتميز بقوة الحجة، ونضوج الفكرة، وفصيح الكلام، وسحر البيان، ومضاء السنان، من أصغي إليه لا يريده أن يسكت، ومن نظر إلي قسمات وجهه ونظرات عينيه، لا يريده أن يغيب عن بصره لحظه.

كرس حياته للذب عن دين الله في مواجهة المشككين والمرجفين والجهلة، فقد كان سيفه صارما ،ورمحه نافذا، وسيفه قاطعاً.

وكان لا يدخل معركة مع خصم إلا بعد أن يتسلح بالمعرفة الدقيقة بمقولات الخصم، فهو عندما أراد أن يرد على المستشار سعيد العشماوي قرأ وحلل جميع كتبه، وكذلك فعل مع نصر حامد أبو زيد، ولذلك فقد أصابهما في مقتل، وهكذا ينبغي أن يكون المنافحون عن الإسلام.

وفي يوم الجمعة الموافق ٢٨ فبراير عام ٢٠٢٠م، أعلن ابن الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – (خالد) عن وفاة والده بعد فترة من المرض دامت لمدة ثلاثة أسابيع. وصُلّي عليه اليوم التالي لوفاته في التجمع الخامس بالقاهرة، ودُفن في بلدته التي وُلد فيها في محافظة كفر الشيخ.

**موقف الدكتور محمد عمارة من التفسير بالرأي**

يعتمد الدكتور محمد عمارة على العقل كثيرًا في تفسيره، ولعل مرجع ذلك إلى أن الدكتور محمد عمارة – غالبا- تابع لمدرسة الرأي التي أسسها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقاد لواءها من بعده أعلام أفذاذ، من أبرزهم الإمام أبو حنيفة وتلميذاه أبو يوسف ومُحَمَّد الذين أثروا الحياة الفكرية والعلمية في الحضارة الإسلامية.

ولأن الدكتور محمد عمارة تلميذ لتلك المدرسة، بل رائد من روادها فقد اصطبغ بصبغة هذه المدرسة، لكنه لم يكن مجرد تابع أو مقلد، بل كان ذا سمات خاصة، مجددًا مبدعًا، حيث يقول: "والله خاطبهم بالقرآن من قبل ألبابهم، فقال تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}(٣)؛ لأنه جعل العقول معادن الحكمة، ومقتبس الآراء، ومستنبط الفهم، ومعقل العلم، ونور الأبصار إليها يأوي كل محصول ، وبها يستدل على ما أخبر به من

علم الغيوب ، فبها يقدرون الأعمال قبل كونها، ويعرفون عواقبها قبل وجودها، وعنها تصدر الجوارح بالفعال بأمرها، فتسارع إلى طاعتها أو تزجرها، فتمسك عن مكروهها .

فاستخلص من عباده خالصة من خلقه فهمت عنه قوله بعقولها، فاتسع لها ما خفي من الأبصار .

ثم أخبرهم أنه أنزل كتابه ليدبروا آياته بعقولهم، ويتذكروا ما قال بألبابهم : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ}فسماه بالبركة، ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة وينالون باتباعه الزلفى والكرامة، ثم قال : {لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}(٤) فأخبر أنه أنزله للتذكر والتفكر فيه، وخص بالتذكر والتفكر أهل العقول أولى الألباب"(٥)

وستظهر عقلانية الدكتور محمد عمارة من خلال أربعة مباحث أذكرها فيما يلي:

**المبحث الأول**

**ذكر الاحتمالات المتعددة في تأويل الآيات**

يذكر الدكتور محمد عمارة عند تناوله لآيات القرآن الكريم الأوجه الممكنة والمحتملة في تفسيرها، والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا الشأن، أذكر منها نموذجا .

فعند تفسيره لقول الله تعالى: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}(٦) قال: "أما هذه الآيات ، فليس فيها دليل على أن إبراهيم ، عليه السلام ، قد مر بمرحلة شرك ، و حاشا له أن يقع في ذلك ، و إنما هي تحكي كيف آتى الله عز وجل إبراهيم الحجة على قومه . . حجة التوحيد، و دحض الشرك . . فهي حجاج و حوار يسلم فيه إبراهيم جدلاً –كشأن الحوار – بما يشركون ؛ لينقض هذا الشرك ، و يقيم الحجة على تهاوي ما به يحتجون ، و على صدق التوحيد المركوز في فطرته . . ليخلص من هذا الحوار والحجاج إلى أن الخيار الوحيد المتبقي – بعد هذه الخيارات التي سقطت – هو التوحيد . . فهو حوار التدرج من توحيد الفطرة إلى التوحيد القائم على المنطق والبرهان والاستدلال ، الذي فند دعاوى وحجج الخصوم . . الاستدلال اليقيني – {وليكون من الموقنين} – وليس فيه انتقال من الشرك إلى التوحيد . . تلك هي الحقيقة التي رجحها المفسرون "

ثم شرع في ذكر الأوجه الممكنة والمحتملة لتأويل قول إبراهيم عليه السلام: {هذا ربي} فقال – رحمه الله –: "قوله تعالى: {قال هذا ربي} اختُلِف في معناه على أقوال:

فقيل: كان هذا منه في مهلة النظروحال الطفولية وقبل قيام الحجة؛ وفي تلك الحال لا يكون كفر ولا إيمان ...

وقال قوم: هذا لا يصح؛ وقالوا: غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء. قالوا: وكيف يصح أن يتوهم هذا على من عصمه الله وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوته ليكون من الموقنين، ولا يجوز أن يوصف بالخلو عن المعرفة، بل عرف الرب أول النظر... لقد قال {هذا ربي} على قول قومه ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر؛ ونظير هذا قوله تعالى: {أين شركائي}(٧) وهو جل وعلا واحد لا شريك له . والمعنى: أين شركائي على قولكم. . .

وقيل: إنما قال " هذا ربي " لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم؛ فلما أفل النجم قرر الحجة، وقال: ما تغير لا يجوز أن يكون ربا. وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها.

وقال: وقيل: هو على معنى الاستفهام والتوبيخ، منكرا لفعلهم. والمعنى: أهذا ربي، أو مثل هذا يكون ربا؟ فحذف الهمزة. وفي التنزيل: {أفإن مت فهم الخالدون} أي أفهم الخالدون؟(٨).

ومن هنا يظهر لنا حرص الدكتور محمد عمارة على ذكر الأوجه المتعددة لتفسير كلام الله جل وعلا وكلها معان محتملة وممكنة .

**المبحث الثاني: اهتمامه بالأمور الفلسفية والعقدية**

يغص تفسير الدكتور محمد عمارة لآيات القرآن الكريم بالأمور الفلسفية والعقدية، فما من آية تتعرض لأمر عقدي أو فكري إلا ويقف أمامها لإبراز جوانبها المتعددة بإعمال عقله، والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا الشأن، أذكر منها أنموذجًا .

فعند تفسيره لقول الله تعالى:{ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}(٩) يقول الدكتور محمد عمارة – رحمه الله -: "... إن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفا عاما ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث ، فالقرآن لم يقل : يوصيكم الله في المواريث الوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين، وإنما قال:{ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} أي: أن هذا التمييز ليس قاعدة مطردة في كل حالات الميراث ، وإنما في حالات خاصة، بل ومحدودة من بين حالات الميراث .

بل إن الفقه الحقيقي لفلسفة الإسلام في الميراث تكشف عن أن التمايز في أنصبة الوارثين والوارثات لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة، وإنما لهذه الفلسفة الإسلامية في التوريث حكم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث في بعض مسائل الميراث وحالاته شبهةً على كمال أهلية المرأة في الإسلام، وذلك أن التفاوت بين أنصبة الوارثين والوارثات في فلسفة الميراث الإسلامي إنما تحكمه ثلاثة معايير:

أولا: درجة القرابة بين الوارث ذكرا كان أو أنثى وبين المورث المتوفى ...

ثانيا: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال...

ثالثا: العبء المالي الذي يوجب الشرع الإسلامي على الوارث تحمله والقيام بها حيال الآخرين ...(١٠)

فهنا الدكتور محمد عمارة يقول في القرآن برأيه، ويعرض الأوجه ويدلل تدليلاً عقليًّا دون أن يذكر ولو في إشارة دليلاً نقليًّا.

ونلاحظ الأسلوب الفلسفي في عرض القضية، وبنائها على مقدمات تسلم إلى نتائج كما يفعل المناطقة، متأثرًا في ذلك بالمدارس العقلية، أو سالكًا سبيلها.

**المبحث الثالث**

**اهتمامه بالآيات الداعية إلى إعمال العقل**

يقف الدكتور محمد عمارة طويلاً أمام الآيات التي تخاطب العقل الإنساني والحواس الإنسانية، ففي قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}(١١) يقول : " وإنه قد نزل منجما ومفرقا لا بسبب صدوره عن الحوادث التي جرت في زمن البعثة ومجتمعها، وإنما ليُثَبِّت

الله بـه فـؤادَ رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم أمـام التحـديات الشرسـة الـتي واجهـت الـدعوة الإسـلامية ... فالـذين كفـروا يعرفـون أن القـرآن تنـزل، ولـيس منتجـا بشـريا أثمرتـه وقـائع مجـتمعهم، لكـنهم كـانوا يريـدون نزولـه جملـة واحـدة، والله عـز وجـل يفصـح عـن حكمـة تنزيلـه منجمـا، وهـي التثبيـت الـدائم والمتواصـل لفـؤاد الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، وتقـول الآية {ورتلناه ترتيلا} .(١٢)

وهكـذا يلـح الـدكتور عمـارة علـى إعمـال العقـل في تفسـير القـرآن الكـريم، لكنه العقل المنضبط غير المنفلت.

ومـن خـلال مـا سـبق نتبـين بوضـوح انتمـاء الـدكتور محمـد عمـارة – رحمـه الله – التفسـيري، فهـو ينتمـي مـن غـير مريـة إلى اتجـاه معتـدل يـوازن بـين النقـل والعقـل، وإن كنـا نلمـس مـيلاً إلى العقـل أحيـانًا عنـد تفسـيره لـبعض الآيات، وبخاصـة الآيات الـتي تنـاقش قضـايا عقديـة وتقـيم البرهـان علـى صـحتها، أو الآيات الـتي تخاطـب العقـل والفكـر كحجج وبراهين على وجود الله ووحدانيته.

**المبحث الرابع: حرصه على التفسير العلمي للقرآن الكريم**

ولقـد كـان الـدكتور محمـد عمـارة مـن أكثـر المؤيـدين للتفسـير العلمـي للقـرآن الكـريم مـن خـلال مشـاركته في نـدوات ومـؤتمرات عـن الإعجـاز العلمـي في القـرآن الكـريم، فضـلا عـن كتاباتـه في هـذا الموضـوع في كتابـه شـبهات حـول القـرآن، وغـيره مـن الكتـب، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولا: ذكـر في تفسـير قولـه تعـالى:{وَلَيْسَ الـذَّكَرُ كَـالْأُنْثَى}(١٣) أن دراسـة علميـة في الـولايات المتحـدة الأمريكيـة علـى مـدى عشـرين عامـا قـام بهـا علمـاء الـنفس أثبتـت أن ٣٢ صـفة مشـتركة بـين الرجـل والمـرأة أن ٣٢ صـفة أخـرى موجـودة في الرجـل غـير موجـودة في الأنثـى، وأن ٣٢ صـفة موجـودة في المـرأة دون الرجـل إلى آخـر هـذه الدراسـة الـتي نقلهـا مـن جريـدة الأهـرام المصـرية والـتي جـاءت تحـت عنـوان: (اخـتلاف صـفات الرجـل عـن المـرأة لمصـلحة كليهمـا) ثم يقـول الـدكتور عمـارة: "تلـك هـي شـهادة الدراسـة العلميـة الـتي قـام بهـا فريـق مـن علمـاء الـنفس – في الـولايات المتحـدة الأمريكيـة – والـتي اسـتغرق البحـث فيهـا عشـرين عامـا، والـتي تصـدق علـى صـدق المنهـاج القـرآني في علاقـة النسـاء بالرجـال: الاشـتراك والتماثـل في العديـد مـن الصـفات، والتمـايز في العديـد من الصفات؛ لتكون بينهما المساواة والتمايز في ذات الوقت .

ومـرة أخـرى – لا أخـيرة صـدق الله العظـيم إذ يقـول: {سَـنُرِيهِمْ آيَاتِنَـا فِي الْآفَـاقِ وَفِي أَنْفُسِـهِمْ حَـتَّى يَتَبَـيَّنَ لَهُـمْ أَنَّـهُ الْحَـقُّ أَوَلَمْ يَكْـفِ بِرَبِّـكَ أَنَّـهُ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ شَـهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} فصلت: ٥٣ .(١٤)

ثانيـا: عنـد تفسـيره قـول الله تعـالى: { أَأَنْـتُمْ أَشَـدُّ خَلْقًـا أَمِ السَّـمَاءُ بَنَاهَـا (٢٧) رَفَـعَ سَمْكَهَـا فَسَـوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَـشَ لَيْلَهَـا وَأَخْـرَجَ ضُـحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْـدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا}(١٥)

نقـل مـا ذكـره الإمـام الـرازي في تفسـيره: "إن الله تعـالى خلـق الأرض أولا ، ثم خلـق السـماء ثانيـا، ثم دحـا الأرض، أي: بسـطها بسـطا مهيئـا لنبـات الأقـوات ثالثـا، هـذا هـو الـذي بينـه بقولـه: {أَخْـرَجَ مِنْهَـا مَاءَهَـا وَمَرْعَاهَـا}، وذلـك لأن هـذا الاسـتعداد لا يحصـل لـلأرض إلا بعـد وجـود السـماء، فـإن الأرض كـالأم، والسـماء كـالأب، ومـا لم يحصلا لم تتولد أولا المعادن والنباتات والحيوانات .(١٦)

ثم يقـول الـدكتور محمـد عمـارة: " إن الصـدق العلمـي للقـرآن هـو إعجـاز شـهد بـه غـير المسـلمين مـن العلمـاء المنصـفين وكتبـت فيـه دراسـات علميـة قارنـت بينـه وبـين الخرافات والتناقضات التي امتلأت بها الكتب المقدسة عند الآخرين .(١٧)

فـالقرآن الكـريم يشـتمل علـى حقـائق علميـة يـتم اكتشـافها علـى مـر الأزمـان وهو جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم .

ثالثـا: رد قـول مـن قـال بأن هنـاك تناقضـا بـين الثابـت العلمـي والقـرآن في قولـه تعـالى: { حَـتَّى إِذَا بَلَـغَ مَغْـرِبَ الشَّـمْسِ وَجَـدَهَا تَغْـرُبُ فِي عَـيْنٍ حَمِئَـةٍ وَوَجَـدَ عِنْـدَهَا قَوْمًـا قُلْنَـا يَاذَا الْقَـرْنَيْنِ إِمَّـا أَنْ تُعَـذِّبَ وَإِمَّـا أَنْ تَتَّخِـذَ فِـيهِمْ حُسْـنًا}(١٨) ، فقـال: " فى حكايـة القـرآن الكـريم لنبـأ ( ذى القـرنين ) حـديث عـن أنـه إبان رحلتـه ( حـتى إذا بلـغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً) .

والعين الحمئة هى عين الماء ذات الحمأ ، أى ذات الطين الأسود المنتن .

ولمـا كـان العلـم الثابـت قـد قطعـت حقائقـه بأن الأرض كروية ، وأنهـا تـدور حـول نفسـها وحـول الشـمس ، فـإن غـروب الشـمس لـيس اختفـاء فى عـين أو غـير عـين ، حمئـة أو غـير حمئـة .. والسـؤال : هـل هنـاك تعـارض بـين حقـائق هـذا العلـم الثابـت وبـين النص القرآنى ؟

ليس هناك أدنى تعارض . ولا حتى شبهة تعارض . بين النص القرآنى وبين الحقائق العلمية .. ذلك أن حديث القرآن — هنا – هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو القرنين ، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس . غروبها . فى هذه البحيرة ( العين الحمئة ) .. وذلك مثل من يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب الشمس ، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص . رويداً رويداً . فى قلب ماء البحر .."(٢٠)

وبعد أن أثبت أنه لا تعارض بين الحقائق العلمية والنص القرآني استدل بما ذكره القفال في هذا فقال: "فالحكاية هنا عن ما يحسبه الرائى غروباً فى العين الحمئة ، أو فى البحر المحيط .. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس ، وعن ماذا يعنيه العلم فى مسألة الغروب .

وقد نقل القفال أبو بكر الشاشى محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر عن بعض العلماء تفسيراً . لهذه الرؤية . متسقاً مع الحقيقة العلمية ، فقال : " ليس المراد أنه [أى: ذى القرنين] انتهى إلى الشمس مشرقاً ومغرباً حتى وصل إلى جرمها ومسها .. فهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض ، بل هى أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ، وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة [أى البقاع المعمورة والمأهولة] من جهة المغرب ومن جهة المشرق ، فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة ، كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض ، ولهذا قال : (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً )(٢١) ، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم ، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم .. "(٢٢)

فالوصف هو لرؤية العين ، وثقافة الرائى .. وليس للحقيقة العلمية الخاصة بالشمس فى علاقتها بالأرض ودورانها ، وحقيقة المعنى العلمى للشروق والغروب .

فلا تناقض بين النص القرآنى وبين الثابت من حقائق العلوم ."(٢٣)

وعلى هذا يكون الدكتور محمد عمارة مؤيدا وبشدة التفسير العلمي للقرآن الكريم .

* * *

**الخاتمة**

من خلال البحث والدراسة في تراث الدكتور محمد عمارة – خاصة ما كان في مجال تفسير القرآن – تتضح كثير من النتائج المهمة، والتي منها:

- **النتائج**

أولا: وجود تصورات مستقبلية في فكر الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – تمثل نظريات يتكون من خلالها مشروعات فكرية نهضوية، حيث إن نظرية النهضة في الفكر المعاصر يقوم على أربعة مقومات على النحو الآتي:

١- المقومات العقائدية: فلا نهضة بدون عقيدة دافعة إلى التقدم، وقد كان المنهج القرآني عقيدة وشريعة منهج حياة، وهو المقوم الأساسي لنهضة الأمة الإسلامية ، وفي مشروع النهضة الحضارية المعاصر يجب التكريس لدور العقيدة بمعنى الإيمان بفاعلية مع المنهج القرآني في عملية النهضة المنشودة ، وأعتقد أن الإعجاز المستقبلي المتجدد للمنهج القرآني عامة ، وفي السنن الاجتماعية في القرآن خاصة، يعد من مهمات الفكر النهضوي الإسلامي المعاصر عن طريق بناء علم للقواعد الحضارية في القرآن الكريم من خلال السنن الإلهية ، وهو جانب كان يؤمن به الدكتور محمد عمارة وأنكره العلمانيون هداهم الله .

٢- المقومات الثقافية: وهو الموقف النقدي لدى المفكر أو لدى مدرسة فكرية ما، من الثقافات السائدة في المجتمع لبحث أسباب التأخر الحضاري في النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية .

٣- المقومات الفكرية: وهي التي ترتبط بفلسفة التجديد والتحديث ، من حيث صناعة المناهج الفكرية في مشروع النهضة في الفكر المعصر لمواكبة المستجدات الفكرية للمشكلات الحضارية المستجدة من حيث الموقف من ثقافات الآخر بالتعاون أو التفاعل أو التقاطع .

٤- المقومات الاجتماعية: وهي إحدى مجالات التطبيق المهمة لأصول الرؤية المنهجية الاعتقادية والثقافية والفكرية على مستوى مكونات المجتمع الإسلامي بل والعالمي .

ثانيا: تبين بوضوح انتماء الدكتور محمد عمارة التفسيري، فهو ينتمي من غير مرية إلى اتجاه معتدل يوازن بين النقل والعقل، وإن كنا نلمس ميلاً إلى العقل أحياناً عند تفسيره لبعض الآيات، وبخاصة الآيات التي تناقش قضايا عقدية وتقيم البرهان على صحتها، أو الآيات التي تخاطب العقل والفكر كحجج وبراهين على وجود الله ووحدانيته، علاوة على أن تفسيره شمولي يجنح إلى الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري .

رحم الله الدكتور محمد عمارة فقد ترك تراثا نميراً ومنبعاً خصباً في شتى ألوان المعرفة، كما ضم على صفوف الوسط، وأنتج في شتى مناحي الفكر والترجمة للأعلامً لكثير ممن حسبهم الناس في صفوف العلمانيين.

- التوصيات

أدعوا الباحثين و الدارسين إلى الكتابة عنه، في رسائل جامعية (الماجستير، والدكتواره)، وتعريف الأجيال ، و الندوات والمنتديات والمؤتمرات عنه وعن أفكاره به وبسيرته ومسيرته في عكوفه على العلم وانقطاعه لمشروعه الفكري .

وأدعو غلاة العلمانيين الداعين إلى فصل الإسلام عن الحياة العامة ، وغلاة الإسلاميين الذين يرون أنهم هم المؤمنون، وكل من عداهم كفار ، أولئك الفاقدون للوعي التاريخي، والوعي الديني والسياسي، والحس القرآني الدعوي، أدعو هؤلاء الغلاة جميعا أن يعلموا يقينا أن بلاد الإسلام مستهدفة خارجيا، ويسر أعداءها الفرقة والخلاف والتنابز ، وإهدار الطاقات الفكرية والمشاحنات والعراك الفكري، ويحزنها الوئام الفكري والوطني، وتعمل تلك القوى الخارجية المعادية بلا كلل على تأجيج الصراع الفكري والمذهبي واستمراره ؛ لهذا وجب على صفوة المفكرين من كل الاتجاهات أن يعملوا متعاونين فيما اتفقوا عليه، ويحاول كل منهم فهم الآخر فيما اختلفوا فيه، تضييقا لمساحة الاختلاف ، وتوسيعا لمساحات الوفاق .

## الهوامش:

١. يقول الدكتور محمد عمارة: " ولدت في إحدى القرى المصرية بمركز قلين محافظة كفر الشيخ – الآن – وكانت تابعة لمركز دسوق محافظة الغربية ، وكان ميلادي في ٨ ديسمبر سنة ١٩٣١ ،كنت أنتمي لأسرة فلاحية ، فوالدي كان فلاحا ممن يعيشون في الفئة الاجتماعية المتوسطة ، أي: ليسوا بالفقراء وليسوا بالأغنياء ، وكان أميا متدينا يتحلى بنمط من التدين قد يكون غريبا لدى الكثير من الناس أو بعضهم" ينظر: رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة: مجدي رياض،صـ ٥٠ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث (١٩٨٩م)

٢. مصر الفتاة هي جماعة تكونت في نهاية عصر إسماعيل للنهضة بشئون التعليم ففتحت المدارس الليلية وتطوع شبابها لتعليم الجماهير . تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨- ١٩٨١: إبراهيم عبده صـ ١٠١، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: الرابعة

٣. سورة الرعد:الآية ١٩

٤. سورة ص:الآية ٢٩ .

٥. مقام العقل في الإسلام: دكتور محمد عمارة صـ ٨٧، نقلا عن كتاب فهم القرآن ومعانيه للمحاسبي، صـ ٢٦٦، ٢٦٧ .

٦. سورة الأنعام: الآيتان ٧٥،٧٦ .

٧. سورة النحل: الآية ٢٧ .

٨. شبهات حول القرآن : دكتور محمد عمارة صـ ٧ (الشبهة الثانية)

٩. سورة النساء: الآية ١١ .

١٠. حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام : محمد عمارة صـ ١١٦، ١١٧ .

١١. سورة الفرقان: الآية ٣٢

١٢. التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، دراسة نقدية لكتاب: بسط التجربة النبوية: دكتور محمد عمارة صـ ٣٨، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

١٣. سورة آل عمران: الآية ٣٦

١٤. حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام: دكتور محمد عمارة صـ ١٤٤ .

١٥. سورة النازعات: الآيات ٢٧ – ٣٢ .

١٦. مفاتيح الغيب ٣١/٤٥ .

١٧. هل في القرآن تناقضات : دكتور محمد عمارة صـ ٩٥ .

١٨. سورة الكهف: الآية ٨٦ .

١٩. شبهات حول القرآن: دكتور محمد عمارة، الشبهة العاشرة، ص ١١

٢٠. سورة الكهف: الآية ٩٠ .

٢١. تفسير القرطبي ١/٤٩، ٥٠ .

٢٢. شبهات حول القرآن: دكتور محمد عمارة، الشبهة العاشرة، ص ١١ . https://al-maktaba.org/book/١٤١٤/١٢ بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٥ الساعة ١١ صباحا .

## المراجع


٢٣. الإسلام وحقوق الإنسان: الدكتور محمد عمارة، عالم المعرفة .

٢٤. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق وتقديم الدكتور محمد عمارة ٤/ ٧، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

٢٥. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر- بيروت-لبنان- دار الفكر-دمشق- سورية، الطبعة: الأولى، (١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م) .

٢٦. البحث العلمي: ذوقان عبيدات، عبد الرحمن عدس، كايد عبد الحق، دار أسامة، الرياض، (١٩٩٧ م).

٢٧. التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، دراسة نقدية لكتاب: بسط التجربة النبوية: دكتور محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

٢٨. حقائق الإسلام في مواجهة المشككين: الدكتور محمد عمارة وآخرون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف بالقاهرة (١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م) .

٢٩. حقائق وشبهات حول القرآن: محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

٣٠. حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام : محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) .

٣١. الدكتور محمد عمارة : التحرير الإسلامي للمرأة ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢ ٠ ٠ ٢ م .

٣٢. رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة : مجدي رياض، مؤسسة الكتاب، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٩م) .

٣٣. العرب يستيقظون: محمد عمارة، دار الوحدة، بيروت، الطبعة الرابعة ، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م)

٣٤. العلمانية جذورها وأصولها: محمد علي باز، دار القلم ، دمشق، صـ ٢٨ ، مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، دار الشروق ، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧م).

٣٥. قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي: دكتور محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٧ = ٢٠٠٦م)

٣٦. القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب: محمد عمارة، دار الفكر، القاهرة (١٩٥٨م) .

٣٧. القومية والديمقراطية والثورة "دراسة وتحليل": عبد الكريم الحسني، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، الطبعة الأولى (٢٠١٢م) .

٣٨. مجلة الأزهر، عدد (ذو القعدة ١٤٤٠ هـ - يوليو ٢٠١٩ م).

٣٩. مجلة الأزهر، عدد (ربيع الآخر ١٤٤١ هـ - ديسمبر ٢٠١٩ م).

٤٠. مجلة الأزهر، عدد (ربيع الأول ١٤٤١ هـ - نوفمبر ٢٠١٩ م) .

٤١. محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد الإسلامي: الدكتور عبد الرازق عيسى، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م) .

٤٢. معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: محمد عمارة، مكتبة نهضة مصر، (٢٠٠٤م) ، التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية: محمد عمارة، مكتبة نهضة مصر،(١٩٩٧)

٤٣. مقام العقل في الإسلام: دكتور محمد عمارة، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٤٤. هل الإسلام هو الحل ؟ لماذا وكيف ؟ الدكتور محمد عمارة، دار الشروق ، القاهرة .

٤٥. المواقع الإلكترونية

٤٦. إسلام ويب .

٤٧. المكتبة .